النفس عن الهوى والتقلب بين الداعيين يميل الى هذا الداعي مرة والى هذا مرة وهذا موضع المحنة والابتلاء وقد وصف سبحانه النفس في القرآن بثلاث صفات المطمئنة والامارة بالسوء واللوامة فاختلف الناس هل النفس واحدة وهذه اوصاف لها ام للعبد ثلاث انفس نفس مطمئنة ونفس لوامة ونفس امارة فالاول قول الفقهاء والمتكلمين وجمهور اهل التفسير وقول محققي الصوفية والثاني قول كثير من اهل التصوف والتحقيق انه لا نزاع بين الفريقين فانها واحدة باعتبار ذاتها ثلاثة باعتبار صفاتها فاذا اعتبرت بنفسها فهي واحدة وان اعتبرت مع كل صفة دون الاخرى فهي متعددة وما اظنهم يقولون ان لكل احد ثلاث انفس كل نفس قائمة بذاتها مساوية للاخرى في الحد والحقيقة وانه اذا قبض العبد قبضت له ثلاث انفس كل واحد مستقلة بنفسها وحيث ذكر سبحانه النفس واضافها الى صاحبها فانما ذكرها بلفظ الافراد وهكذا في سائر الاحاديث ولم يجئ في موضع واحد نفوسك ونفوسه ولا انفسك والنفسه وانما جاءت مجموعة عند ارادة العموم كقوله واذا النفوس زوجت او عند اضافتها الى الجمع كقوله انما انفسنا بيد الله ولو كان في الانسان ثلاث نفوس لجاءت مجموعة اذا اضيفت اليه ولو في موضع واحد فالنفس اذا سكنت الى الله واطمأنت بذكره وانابت اليه واشتاقت الى لقائه وانست بقربه فهي مطمئنة وهي التي يقال لها عند الوفاة يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية قال ابن عباس يا ايتها النفس المطمئنة بقول المصدقة وقال قتادة هو المؤمن اطمأنت نفسه الى ما وعد الله وقال الحسن المطمئنة بما قال الله والمصدقة بما قال وقال مجاهد هي المنيبة المخبتة التي ايقنت ان الله ربها وضربت جانبا لامره وطاعته وايقنت بلقائه وحقيقة الطمأنينة السكون والاستقرار فهي التي قد سكنت الى ربها وطاعته وامره ونهيه كره ولم تسكن الى سواه فقد اطمأنت الى محبته وعبوديته وذكره واطمأنت الى امره ونهيه وخبره واطمأنت الى لقائه ووعده واطمأنت الى التصديق بجميع اسمائه وصفاته واطمأنت الى الرضى به ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا واطمأنت الى قضائه وقدره واطمأنت الى كفايته وحسبه وضمانه فاطمأنت بانه وحده ربها والهها ومعبودها ومليكها وما كان امرها كله وان مرجعها اليه وانها لا غناء لها عنه طرفة عين واذا كانت بضد ذلك نهى امارة بالسوء تامر

صاحبها

صاحبها بما تهواه من شهوات الغي واتباع الباطل فهي ما وكل سوء ان اطاعها قادته الى كل قبيح وكل مكروه وقد اخبر سبحانه انها امارة بالسوء ولم يقل آمرة لكثرة ذلك منها وانه عادتها ووداب الا اذا رحمها الله وجعلها زكية تامر صاحبها بالخير فذلك من رحمة الله لا منها فانها بذاتها امارة بالسوء لانها خلقت في الاصل جاهلة ظالمة الا من رحمه الله والعلم والعدل اطارئ عليها بما اراها ربها وفاطرها لها ذلك فاذا لم يلهمها رشدها بقيت على ظلمها وجهلها فلم تكن الامارة بموجب الجهل والظلم فلولا فضل الله ورحمته لكان الجميع على المرضيين ما زكت منهم نفس واحدة فاذا اراد الله سبحانه بها خيرا جعل فيها ما تزكو به وتصلح من الارادات والتصورات واذا لم يرد بها ذلك تركها على حالها التي خلقت عليها من الجهل والظلم وسبب الظلم اما جهل واما حاجة وهي في الاصل جاهلة والحاجة لازمة لها فلذلك كان امرها بالسوء امرا لازما لها ان لم تدركها رحمة الله وفضله وبهذا يعلم ان ضرورة العبد الى ربه فوق كل ضرورة ولا يشبهها ضرورة تقاس بها فانه ان امسك عنه رحمته وتوفيقه وهدايته طرفة عين خسر وهلك **فصل** واما اللوامة فاختلف في اشتقاق هذه اللفظة هل هو من التلوم والتردد او هو من اللوم وعبارات السلف تدور على هذين المعنيين قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس ما اللوامة قال هي النفس اللوم وقال مجاهد هي التي تندم على ما فات وتلوم عليه وقال قتادة هي الفاجرة وقال عكرمة تلوم على الخير والشر وقال عطاء عن ابن عباس كل نفس تلوم نفسها يوم القيمة تلوم المحسن نفسه لا يكون ازداد احسانا وتلوم المسيء نفسه لا يكون رجع عن اساءته وقال الحسن ان المؤمن والله ما تراه الا يلوم نفسه على كل حالاته يستقصرها في كل ما تفعل فيندم ويلوم نفسه وان كان الفاجر ليمضي قدما لا يعاتب نفسه فهذه عبارات من ذهب الى انها من اللوم واما من جعلها من التلوم والتردد فلكثرة تردد ها وتلومها وانها لا تستقر على حال واحدة واكمل الاظهر فان هذا المعنى لو اريد لقيل المتلومة كما يقال المتلونة والمتردده ولكن هو من لوازم القول الاول فانها لتلومها وعدم ثباتها تفعل الشيء ثم تلوم عليه فالتلوم من لوازم اللوم والنفس قد تكون تارة امارة وتارة لوامة وتارة مطمئنة بل في اليوم الواحد والساعة الواحدة يحصل فيها هذا وهذا والحكم للغالب عليها من احوالها فكونها مطمئنة وصف مدح لها